د: محمد شاطو جامعة معسكر

الحركية الإقتصادية في منطقة متيجة خلال الفترة العثمانية

متيجة هي التسمية التي تُطلق على مجموعة من السهول في المنطقة الوسطى من شمال الجزائر جنوبي العاصمة، وتشتهر بخصوبة أراضيها الزراعية وبموقعها الجغرافي المميّز، فالأطلس البليدي وغابات الشريعة يحتلان جزءً هاماً منها ممّا زاد في جمالها وجاذبيتها.

يعتبر سهل متيجة الذي تزيد مساحته عن 1300كم²، من أجمل السهول امتداداً واعتدالاً للمناخ، فهو يحتوي على عددٍ هامٍ من الينابيع التي تنزل من جبال الأطلس المجاورة له فتسقيه بمياهها. كل ذلك جعل منه منطقة جذب للسكان الذين تراوح عددهم ما بين ثمانية وعشرة آلاف نسمة في مدينة البليدة[1] عاصمة الإقليم مع مطلع القرن التاسع عشر.

قصد منطقة متيجة الأندلسيون[2] بعد سقوط غرناطة عام 1492م[3]، حين وصلها الولي الصالح سيدي أحمد الكبير[4] رفقة ابنه، واستقر بها .

---

[1] . وليام شالر : مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 . 1824)، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي ، ش . و . ن . ت ، الجزائر 1982، ص 36 .

[2] . أنظر ، أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1968، ص 152 .

[3] . أنظر ، أحمد توفيق المدني : حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492 . 1792)، ش . و . ن . ت ، الجزائر دون تاريخ، ص 64 .

[4] . ولد عام 881هـ/ 1474م، كان عمره نحو 45 سنة حين وصل الى منطقة متيجة، واستقر في مكان يدعى تابركشت أو تابسكنت في منطقة شعبة الرّمان أو وادي الرّمان (ينظر

عندها شرع في بناء بلدة صغيرة بمنطقة متيجة سماها البليدة بعد تأسيسها وكان ذلك عام 1535 ، وبه نشأت الخلية العمرانية الأولى للمدينة وكان هذا الرجل عن دراية بشؤون التهيئة والعمران، إذ كان عالماً في الفقه والقضاء وخبيراً من خبراء الري، وأصله من إشبيليا، درس في جامعة قرطبة وتألق فيها، خالط سكان المنطقة، ونال احترامهم وثقتهم، وقد زاره الكثير من سكان المنطقة وقدّموا له يد العون وحققوا معه المشاريع، واستطاع أن يجعل كل الروافد المائية تصب في واد واحد عرف باسمه فيما بعد "واد سيدي الكبير".

فكر في تهيئة المدينة وتسويتها، تتَخلّلُها سبعةُ أبواب هي: باب الجزائر، باب الزاوية، باب الخوخة، باب الرحبة ..... الخ

كان نشاطه متميزاً في إرشاد الناس، فكان يعقد مجلس الصلح والحكم بين القبائل بالشريعة التي سميت بهذا الإسم نسبة للشريعة الإسلامية، وكان يقصدها المتخاصمون القاطنون من أنحاء متيجة.

كان مسموع الكلمة لِما تحلّى به من خصال عالية كالإخلاص في المعاملة والصدق في القول وحسن الفهم والتدبير ونبل الغاية.

الأمر الذي جعل خير الدين بربروس يزوره في بيته ويقدم له يد العون لتحقيق بعض المآرب كالمسجد والفرن والحمام والمطحنة، وتعاون الشيخ معه على الإهتمام بالأنلسيين الفارين من الإضطهاد الصليبي[1]، المقيمين بمنطقة متيجة.

(Hocine Seddiki : Blida La Wilaya, albayazin,Alger 2012, : P 24 ;

[1] . ناصر الدين سعيدوني : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، ص 129 .

وكان بعض هؤلاء من ذوي الصنائع والحرف، فانظموا إلى السكان وساهموا في تحسين ظروف العيش، وذلك بإدخال بقايا حضارتهم العريقة، وصناعتهم، وفنونهم، وخبراتهم المختلفة.[1] خاصة وأنَّ أهل المنطقة قد عُرفوا بالتفتح على نزلائهم، وبكرم الضيافة والإحتفاء بكل زائر ينزل بساحتهم.

لمّا وقع التقارب والإحتكاك بين العثمانيين وسكان مدينة الجزائر، أطلعوا الحاكم العثماني "خير الدين"، بطبائع السكان، وبيّنوا له مختلف جوانب حياتهم، وأعلموه بأنهم قد جعلوا ثقتهم التامة بالمرابطين، وأنّ التعيس هو الذي يعاكسهم في هذا الإعتبار، فهم يلحقون الأذى بأصدقائهم، بل بأقربائهم، إذا بلغهم أنهم يسخرون من المرابطين، أو ينظرون إليهم بعين الحقارة،[2] فالمرابطون وعلماء الدين محترمون في الجزائر، أحياءً وأمواتًا حتى أنّه لو هرب مجرم إلى تربة ولي صالحٍ، وكان عليه قصاص شرعي، لا يخرج من التربة، بل يترصد خروجه بنفسه، احترامًا لذلك الولي، وتعظيماً لمن أطاع الله، فهي بمنزلة الجوامع في الإحترام، واشتراك الناس في زيارتها، والإحتماء بها.

هذا الإحترام والتقدير، أهّلهم الى فضِ الخصومات التي كانت منتشرة بكثرة بين القبائل.[3] ومنذ ذلك الحين لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على

---

[1] . أحمد توفيق المدني : المرجع نفسه ، ص 266 .

[2] – حمدان بن عثمان خوجة : المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت. الجزائر 1982، ص 188.

[3] – Colonel , Trumelet : Blida, Récites selon la légende, la tradition et l'histoire, A-joirdan, Alger1878, T 1 , P : 243 .

أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين، بل صاروا يقدّمون لهم الإمتيازات، وصارت أماكنهم مقدّسة بعد موتهم .[21]

كما كان لرجال الدين بمنطقة المتيجة، مكانة كبيرة لدى الولاة الأتراك، فأجَلُّوهم وقدَّروهم، مفتين كانوا، أوقضاةً، أو أئمةَ مساجد، أو فقهاء.[3] إضافة إلى منحهم إمتيازات عديدة مثل إسقاط المطالب المخزنية، ومنحهم الإقطاعات، وتقديم الهدايا[4]، خاصة المشهورين منهم أمثال سيدي أحمد الكبير ولي منطقةِ متيجة ومؤسّسِها، الذي كان يسكن كوخاً بوادي الرمان فبنى له خير الدين حاكم الجزائر مسجداً، وفرناً وحماماً[5]، وفي مقابل ذلك ظلّ الشيخ طيلة حياته مؤيداً للأتراك ومناصراً لخير الدين بربروس[6]، فكسب وُدّ الدولة، وأطلقت يده في توجيه وتدعيم أحوال المدينة إقتصادياً وسياسياً، مما يدلُ على حكمته، وعلوِ سلطته الرّوحية، فلم يَثُر على السّلطة [7]، ونظراً لقوة تأثير المرابطين، وشيوخ الزوايا على موقف السكان

[1]– حمدان بن عثمان خوجة : المصدر نفسه، ص111.

[3]– يحي بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص 311 .

[4] . ناصر الدين سعيدوني: درسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص272 .

[5] . محمد حاج صادق: مليانة ووليها الصالح سيدي أحمد بن يوسف، ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص158.

[6] . ناصر الدين سعيدوني: الاندلسيون المورسكيون بمقاطعة الجزائر "دار السلطان " أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، السنة 1992 – 1993، ص177.

[7] . محمد الامين بلغيث : المرابطون والمتصوفة بمتيجة، محاضرة ضمن فعاليات ملتقى "متيجة عبر العصور" 27 .31 ماي 2003 ، البليده ، ص06 .

وإقناعهم بضرورة تنفيذ الأوامر أخذت السلطة العثمانية بعين الإعتبار الواقع الإجتماعي، والإقتصادي للزاوية [1].

وبفضل ما كان لشيوخ الزوايا من نفوذ على السكان إستطاعوا إسكات أسلحة خصوم السلطة، ومنعِ إراقة الدماء[2]. ولأدلَّ على ذلك تدَخُل ولد سيدي علي بن مبارك ولي القليعة للصلح بين الأتراك وبني صالح الذين ثاروا ضدهم.

كما أصبح المرابطُ أو مقدمُ الزاوية شخصيةً رئيسيةً في الجهاز القضائي والإداري في منطقة متيجة، فكان الشخص الذي يُنتقى بمثابة حاكمٍ ثاني يُختار من بين الأُسر الشريفة المنتمية إلى عائلة أحد المرابطين، ويُسمى " **نقيب الأشراف** " .

وفي الجهاز القضائي عمد الأتراك إلى تعيين رجال الدّين في وظائف الإفتاء والقضاء، وكأعضاء في المجلس العلمي لمدينة البليدة، ومثال ذلك تولي سيدي بلقاسم بن سيدي أحمد الكبير مفتياً بالمدينة.[3]

لم يخفَ على حكام الجزائر العثمانيين أن زعماء الدّين الذين نشؤوا في الزوايا هم الذين تولوا مهمة جذب الناس نحو السلطة، وأنهم هم الذين ساعدوهم في الحكم رغم الصعوبات التي واجهتهم، وأن أبناءهم وأحفادهم ظلّوا على الوفاء للنظام العثماني وتقديم الخدمات لتوطيد سلطته.

لأجل ذلك بذل العثمانيون جهودهم للحفاظ على ذكراهم وتقوية نفوذهم الروحي لتهدئة الفتن وكبح الفوضى، ولأجل هذا شيّدوا على قبورهم أضرحة، ومساجد فاخرة، ومن جهة أخرى إستمع الحكام إلى نصائح

---

[1] . توجد بالبليدة زاوية شهيرة للولي الصالح سيدي محمد الكبير.

[2] . حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 60 .

[3] . الحاج أحمد الشريف الزهار : الحاج أحمد الشريف (الزهار) : مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1980، ص156.

الشيوخ وقربوهم، وبهذا السلوك إحتفظ الطرفان (علماء الدين والسلطة) بالإحترام والتقدير والتعاون المتبادل بينهم .

ونشير الى أنّ منطقة **متيجة** تقع في إقليم دارالسلطان، الذي يتكون من مجموعة أوطان هي: وطن بني خليل، ووطن الخشنة ، ووطن السبت (أو موزاية)، ووطن بني موسى، ووطن يسر.

أما عاصمة منطقة متيجة فتمثلها مدينة **البليدة**، التي تقع بالتحديد في النطاق الجغرافي لوطن بني خليل. ويعطينا **" فانتور دي بارادي" venture de paradis** بعض المعلومات التي تتعلّق بإدارة إقليم دار السلطان في ذلك العهد فيقول :"... كان على رأس كل مدينة هامة مثل البليدة وبوفاريك وملیانة قائد تركي يُعيّنُ فيدفع في مقابل التسمية مبالغ من المال، وكميّات من المنتوجات والهدايا للداي".[1]

وقد كان باشا الجزائر يحكم هذا الإقليم وممتلكاته بواسطة آغا العرب الذي عُيّن لإدارته.[2]

الحركية الاقتصادية في منطقة المتيجة

عرفت منطقة متيجة حركية إقتصادية نشيطة خلال الفترة العثمانية، ولا سيما في القطاعات الزراعية والصناعية، في وقت كانت فيه الجزائر بلداً فلاحيًا بالدرجة الأولى، بمناخها الجميل، وأراضيها الخصبة، وتوفرها على المراعي الشاسعة والسهول الفسيحة، تكثر فيه منتوجات أمريكا، والهند، بالإضافة إلى ما ينبت في أراضي أروبا كما أنها تنتج كميات

[1] . Alger au 17eme siècle , revue Africaine , N° 39 , 1895 , P 276 .

[2] . A . benachenhou : L'état Algérien à 1830, E.P.A, alger, p :18 .

كبيرة من القمح والشعير، والصوف والجلود والشموع ، أما مراعيها فتزخر بأنواع مختلفة من الحيوانات[1].

وتعتبر سهول متيجة، من أجود المناطق ذات الإنتاج الزراعي الوفير في الجزائر أنذاك، فكان يسدّ حاجات العاصمة، وقليلاً من إنتاجه يُصدَّرُ الى الخارج.[2]

ولارتباط انتاج أراضي متيجة بالحاجات المعاشية لسكان المدن من خضر وفواكه ضرورية، أصبحت بمرور الزمن أراضيها ملكاً لأفراد الطائفة التركية وجماعة الكراغلة والحضر الميسورين مثل حمدان خوجة الذي ذكر أنّ ملكيته بسهل متيجة تتطلب زراعتها كل سنة 160 حُمولةً حنطة، ومن 100 الى 120 حُمولة شعير.[3]

يقع سهل متيجة وسط إقليم الجزائر الذي يمتد بين البحر وسلسلة جبال الأطلس التلي حيث ينفتح من الشمال الشرقي على البحر بواسطة وادي الحراش.[4]

ويمكن التمييز بين منطقتين في هذا السهل :

. منطقة منخفضة في الشمال تعرف بإسم " الوطا " ارتفاعها حوالي 140 متراً، تمتاز بالتربة السوداء الخصبة ممّا أدى إلى ظهور المروج ، وهذا

---

[1] – محمد العربي الزبيري : التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش . و . ن . ت، الجزائر، د . ت ، ص57.

[2] . أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، ش.و.ن.ت، الجزائر 1980 ، ص ص 151 . 152 .

[3] . ناصر الدين سعيدوني : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 . 1830)،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1985، ص33.

[4] – آربيح محند بن أرزقي : إنجراف التربة و حمايتها في التل الجزائرين، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985، ص70.

نتيجة السُيول العديدة المنحدرة من الجبال، وعلاقة ذلك بتقنية تصريف المياه، وظهور الينابيع .

. منطقة أكثر إرتفاعاً في الجنوب تعرف بالحمادة ، تسودها التربة الحمراء، و أراضي عاصمة إقليم متيجة "مدينة البليدة" تقع في هذه المنطقة المتميزة بالإتساع والخصوبة العالية .

كما تقطع إقليم متيجة مجموعة من الأودية القصيرة التي ينحدر معظمها من سلسلة الأطلس البليدي، أهمها وادي الحراش ، ووادي يسر.[1]

ويصفه إبن حوقل بقوله : " ولجزائر بني مزغنة بادية كبيرة، وجبال فيها من البربر كثرة، وأكثر أموالهم من البقر والغنم سائمة في الجبال، والسِّمنُ والتين ما يُجَهّز ويُجْلَب إلى القيروان وغيرها.[2]

نوعية ملكية الأرض في إقليم متيجة:

يمكن التمييز بين أربعة أنواع من المساحات الزراعية بإقليم متيجة، وهي على الشكل التالي :

أراضي البايلك : هي تلك الأراضي التي ألحق أغلبها عن طريق المصادرة ، أو ترحيل السكان عنها عند امتناعهم عن دفع الضرائب. يتميز هذا النوع من الأراضي بالجودة ، حيث كان رجال البايلك يجبرون سكان المنطقة على التعاون لخدمة الأرض دون مقابل . فكانت على سبيل المثال الأعمال الفلاحية في أحواش بني خليل عبئا مفروضًا على أبناء قبيلة بني صالح.[3]

كما كانت أراضي البايلك تستغل عن طريق نظام العزل، الذي يقوم على أساس التنازل عن هذه الأراضي للموالين الكبار للبايلك، مقابل تربية

[1] – آربيح محند بن أرزقي : المرجع نفسه ، ص 72.

[2] . أبو القاسم إبن حوقل : صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ ، ص 77.

[3] . Colonel(trumelet) : op .cit , T1, p 82

مواشي الدولة ودفع جزء من المنتوج لها، وأمّا للأشخاص مقابل ضريبة عن المحصول.[1]

أراضي العرش: هي ملك للقبيلة، حيث يستغلها كامل الأفراد.[2] إذ يتم حرثها وزراعتها بطريقة جماعية وتوزيع المنتوج بالتساوي، ويوجد معظمها حول القرى، وهي في الغالب أراضي فقيرة تفرض عليها الدولة غرامةً أو ضريبةً معينةً قد تكون نقدًا أوعينًا .[3]

أراضي الأحباس (الأوقاف): ذات ملكية جماعية منتوجاتها وقف على الأعمال الخيرية كبناء المساجد و الزوايا ، يقوم استغلال هذه الأراضي على التطوع من طرف سكان القرية أو حتى من الطلبة [4]، ووُكِلَ التصرف فيها لناظر الأوقاف ومساعديه ، ولم تخضع هذه الأراضي لأي ضريبة أو مُصادرة ، أو رسم.[5]

ملكيات زراعية خاصة : متفاوتة المساحات لكبار الملاك وصغارهم . كان هذا النوع من الأراضي عرضة للتوسع، أو الإندثار، وللمالك حرية التصرف من بيع أو وقف، ويحدث الإندثار في حالة الإرث نتيجة تقاسم الورثة للملكية، أو عن طريق المصادرة، وقد فرضت الدولة على المالكين

---

[1] . أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص152.

[2] – محمد العربي الزبيري: بحوث و وثائق ...، ص 58.

[3] . إحسان (حقي) : الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، المكتب التجاري، بيروت ،1961، ص 160.

[4] . حسن (بهلول) : المرجع السابق،ص12.

[5] . ناصرالدين (سعيدوني) : دراسات تاريخية في الملكية والوثائق والجباية في الفترة الحديثة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2001، ص 12.

ضريبتي العشور والزكاة،[1] حيث كان حضر المدينة عمومًا، والأتراك والأندلسيون خصوصًا مالكوا أغلب أراضي عاصمة الإقليم البليدة[2].

وكان لاختلاف الملكية حسب نوعيتها، وموقعها، وخصوبتها، دوره في تنويع المنتوجات الزراعية، فانتشرت زراعة الحبوب في أراضي البايلك، وانتشر الرعي في أراضي العرش ، و زراعة البقول في الملكيات الخاصة .

وللإشارة فإنّ سهل متيجة مُقسَّمٌ الى خمسة أوطان : وطن بني خليل، وطن حجوط، وطن بني موسى، وطن الخنشلة ، وطن يسر.

يتكون كل وطن من دواوير يسكنها الأهالي، ومن أحواش يملكها موظفو السلطة التركية والإنكشارية والمرابطون ، وبعض الأثرياء الجزائريين.[3]

يتكون وطن بني خليل[4] . الذي تقع في اطاره مدينة البليدة عاصمة إقليم متيجة . من 219 حوش يمكن تصنيفها الى ثلاثة أصناف **صغيرة** مثل : حوش بن عزة، حوش الصومعة، **متوسطة** مثل: حوش غرابة ، **كبيرة** مثل : حوش بني مراد ، حوش بن شعبان.

يتكون الحوش من قطعة مخصصة للسكن، ومكان خاص للقطعان، بالإظافة الى آبار وعيون ماء.[5]

---

[1] . ناصر الدين (سعيدوني) : النظام المالي ... الرجع نفسه ، ص 87.

[2] . CLAUDINE (CHAULET) ; la mitidja autogérée altamira-rotopress, madrid 1971 ,p20.

[3] – ناصر الدين سعيدوني : النظام المالي ...، ص 29.

[4] . يرجع ابن خلدون أصل بني خليل إلى قبيلة صنهاجة البربرية، يقول عنها : " كان أهل هذه الطبقة بنو ميلكان بن كرت وكانت مواطنهم بالمسيلة، إلى حمزة إلى الجزائر والمدية، ومليانة، من مواطن بني يزيد وكان معهم بطون كثيرة من صنهاجة أنظر: المجلد السادس، ص309، ص316 .

[5] -Claudine , chaulet : op .ccit p20.

الإنتاج الزراعي في منطقة متيجة : تقع أراضي متيجة حول وادي يسر الكبير. كانت هذه الأراضي مُشكّلة من حقول الخضار، وبساتين الفواكه، والأراضي الزراعية، وبعض المنازل.[1]

تميزت منطقة متيجة بانتاجها الوفير، وجناتها الفيحاء،[2] خاصة بعد استقرار الأندلسيين بها فاعتنوا بالزراعية، وأجْروا المياه في القنوات.[3]

كانت هذه السهول خصبةً، أراضيها مزروعةً ، محاطة بأشجار الزيتون والتين،[4] ومن أشجارها المثمرة : البرتقال، والخوخ، والليمون[5] . كما امتازت منطقة متيجة بانتاج الخضار التي حسّن الأندلسيون أنواعها كالطماطم، والبطاطس والفلفل .

يضاف الى الفلاحة قطعان الماعز والأغنام، والملاحظ أنها كانت جد متوفرة، ففي كتاب صالح العنتري : " البقرة الغالية في ذلك الزمان تباع بأربعة ريالات وخمسة، والكبش بخمسة أثمان"[6].

وممّا ساعد على انتشار تربية المواشي، وحرفة الرعي تغطية الأعشاب طوال السنة.[7] وعلى العموم فإنّ تربية المواشي في مدينة البليدة كانت تهدف إلى تغطية الإستهلاك الذاتي للبايلك من لحوم وحليب وزبدة .[1]

---

[1] . محمد العربي ، الزبيري : المرجع السابق ،ص58.

[2] . ناصر الدين ، سعيدوني : دراسات وابحاث ...، 140.

[3] . نور الدين ، عبد القادر : المرجع السابق ، ص 266.

[4] . Franc, jules : la colonisation de la matidja, paris champion , 1928, p58.

[5] . A.prenant , v. lacoste, a. nouschi : l algerie, passé et présent, ed- sociales , paris , 1960 p 202 .

[6] . صالح العنتري: سنين القحط و المصبغة ببلد قسنطينة ، مجاعات قسنطينة ، تحقيق وتقديم : رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر ، 1974 ، ص 34.

[7] . مجلة مرآة متيجة، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1986، العدد الثاني ،ص 04.

الصناعة في إقليم متيجة :

عرفت إيالة الجزائر خلال العهد العثماني نشاطًا صناعيًا متنوعاً حيث شمل أغلب المهن التقليدية، والحرف اليدوية كالحدادين والصبّاغين ، والشواشين [2] .

كان لكل حرفة أمين، كأمين الفضة، وأمين الخياطين، وأمين البلاغجية، وأمين البنائين، وأمين الكواشين، وغيرهم . ورئيس جميع الأمناء يسمى شيخ البلد، أوحاكم المدينة[3]، والذين يتولون الصناعة التقليدية كانوا من الحضر الأندلسيين الذين تمكنوا من إقامة المشاغل وإنشاء الورشات لمزاولة مختلف المهن والصناعات[4]، كصنع الأسلحة، وخدمة الجلود، وتجارة المعادن[5] . أمّا اليهود فقد احتكروا صناعة الأحجار الكريمة[6].

ولئن كانت المصنوعات في الجزائر تستطيع منافسة المصنوعات الأوروبية ، ولا حتى المغربية والتونسية، والنشاط الصناعي انحطت نوعيته وتناقصت كميته، وتعرّض الصناع والحرفيون الى أزمة كساد في المصنوعات، وانخفاض الأسعار؛[7] فقد بقي قطاع الصناعة محافظاً على مكانته المتميّزة.

هذا وقد شهدت منطقة متيجة ولا سيما عاصمتها مدينة البليدة نشاطاً صناعيًا وحرفياً متنوعاً، إذ كانت تعجُ بالصُناع والحرفيين في الورشات

---

[1] . Nacereddine , Saidouni : op , cit , p 201

[2] . محمد العربي ، الزبيري : المرجع السابق ص 61. -

. حمدان ، بن عثمان خوجة :

[3] المصدر السابق ، ص 101.

[4] . ابو القاسم ،سعد الله : المرجع السابق ، ص 151.

[5] . ناصر الدين ، سعيدوني : دراسات وابحاث ...، 140

[6] . ناصر الدين ، سعيدوني: الجانب الاقتصادي و الاجتماعي ... ص 62

[7] . ناصر الدين سعيدوني : نفس المرجع ، ص 62.

والمشاغل، وتجمعت كل صناعة أو حرفة في مكان مخصص عُرف بالسّاحة ، حومة...[1].

تركزت محلات الحرفيين في الشارع الممتد من باب الجزائر حتى باب القبور، الذي ضم محلات النجارين، والطرازين ، والدباغين، والصراجين[2]، وقد كان الإنتاج موجهاً لتغطيةِ الإستهلاك المحلي، وتوفير متطلبات أسواق المدينة من مصنوعات يدوية [3]. وكان من أشهر الصناعات والحرف المنتشرة في منطقة متيجة ما يلي:

. الصناعات الغذائية :

تتوزع على أفراد الخبز (الكوشات)، ومطاحن التدقيق (الرحى)، حيث أقيمت بالمنطقة سبعة مطاحن مائية لطحن الحبوب، قادرة على طحن ما لا يقل عن ألف كيس من الدقيق يومياً، خاصة تلك المطاحن المائية الموجودة على ساقية وادي سيدي أحمد الكبير[4]. ولم يكن الأهالي يسيطرون على مخازن الحبوب العامة، ولا على طواحين المياه ، ولكن الذي كان يتولى ذلك هم العثمانيون[5]. كما امتازت منطقة متيجة بصناعة تجفيف الفواكه ، وتحضير المربى، وتقطير ماء الورد الذي اختصت به العائلات العريقة من الأندلسيين[6].

---

[1] . ناصر الدين سعيدوني : الاندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان " أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، السنة 1992 – 1993، ص 110.

[2] . Colonel , trumelet : op. cit.t, p 883.

[3] . ناصر الدين سعيدوني : النظام المالي...، ص 34.

[4] . ناصر الدين سعيدوني : الاندلسيون ، المريسكيون ...، ص 113.

[5] . أبو القاسم ،سعد الله : المرجع السابق ، ص 152

[6] – ناصر الدين سعيدوني : الجانب الاقتصادي و الاجتماعي ... ص 68 .

يصف سيمون بفايفر ، طريقة تقليدية لتهيئة الزبدة في الأرياف، بقوله " فهم يخيطون جلد الماعز، ولا يتركون منه إلاّ فتحة في العنق، ويعلقونه من الأرجل الأربعة ، بواسطة الحبال في عارضة ، أو في فرع شجرة ، ويصبون الحليب في الجلد، ويشدون الفتحة، ثم يقف إثنان كل واحد منهما في جانب ، و يترامیان بجلد الماعز، وعن هذه الحركة تنتج الزبدة "[1].

2 . **الصناعات التحويلية :** تتعلق بتحضير مواد البناء، كصناعة الجبس، والقرميد، والأحجار التي تستخدم في البناء . وقد كانت هذه المواد تعالج في أفران محليّة في منطقة جبال بني صالح بالبليدة . ويلحق بهذا النوع من الصناعات، صناعة الخزف والأدوات الفخارية، حيث عُرف حرفيو منطقة متيجة بصناعة نوع جيد من الخزف المزجج بالطلاء، في شكل بلاطات صغيرة مربعة مكسوة بالطلاء ، معروفة بالزليج [2] الذي يستعمل في تغطية المنازل ، وكساء الجدران ومداخل البنايات . أمّا الأدوات الفخارية والأواني الزخرفية التي تستخدم في عدة منافع كأواني الأكل والشرب، والطهي، والجرار لتخزين الزبدة والزيت ويصنعها النساء بأدوات يدوية بسيطة، وتُزين هذه الأواني برسومات مختلفة [3] ، كما أن حرفة صناعة السلال عَرفت انتشاراً واسعاً بين سكان المدينة وذلك لتوفر المادة الأولية المتمثلة في الحلفاء. أمّا المصنوعات فهي: الحصير القبعات، القفف المسمات الشواري، السلال، وفيما يخص الحصائر فهي تفرش في المساجد والبيوت والمقاهي والأسواق .

3 . **صناعة ومعالجة الخشب والنجارة :** ساعد على انتشار هذه الصناعة، غنى منطقة البليدة بالأشجار، حيث تتواجد بها غابات الشريعة وغابات

---

[1] . سيمون بفايفر : مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، دون تاريخ ، ص 161.

[2] – ناصر الدين سعيدوني : الاندلسيون ، المريسكيون ...، ص 112

[3] . Colonel , trumelet . op. cit.t, p : 883 .

بني صالح، لذلك اختص السكان بحرفة التحطيب وجمع الفحم[1]، وكانت الأخشاب تستعمل في البناء، وفي صناعة الأثاث المزخرف.

صناعة النسيج : تطورت على أيدي الأندلسيين الذين توارثوا صنع الزرابي، والأقمشة والشواشي.[2]

واعتمدت هذه الصناعة على المواد الأولية المتوفرة من صوف، وكتان، وقطن، وتتمُ بواسطة أجهزة تقليدية بسيطة، أهمها المنسجُ التقليدي، وكانت الصوف المحضّرة في البليدة، تستعمل في صناعة القبعات والشواشي في مدينة الجزائر.[3]

ومن منتجات هذه الصناعة : الأقمشة القطنية، ومنها المناديل[4]، وصناعة الوشاح . كما كان أفراد القبائل المحيطة بالبليدة مثل بني صالح مشهورين بصناعة البرانس والأغطية. وامتازت نساء بني صالح بحياكة ونسج الصوف، وحياكة البرانس، والغندورة، والخمارات.[5]

5. **صناعة الجلود** : طوّرها الأندلسيون فأصبحت أكثر إتقاناً ودقةً ، ساعدهم في ذلك الأحواض المائية التي تعالج فيها الجلود قبل توجيهها إلى مشاغل الإسكافيين.[6]

6. **صناعة التطريز:** منها الأحزمة، والسروج، والمحافظ الصغيرة والكبيرة، والتطريز على القماش، التي استعملت فيها خيوط الذهب والفضة.

التجارة و طرق المواصلات توزّع النشاط التجاري في الجزائر خلال العهد العثماني على المدن الكبرى، والأسواق الأسبوعية والموسمية [1]، فالأسواق

---

[1] . Colonel , trumelet : op. cit.t, p : 243.

[2] – ناصر الدين سعيدوني : الجانب الاقتصادي و الاجتماعي ... ص 68

[3] . venture de pradis : op. cit p : 277.

[4] . حمدان ، بن عثمان خوجة : المصدر السابق ، ص91

[5] . Colonel , trumelet : op. cit.t, p : 267

[6] – ناصر الدين سعيدوني : الاندلسيون ، المريسكيون ...، ص 112 .

تشتمل على حاجات الناس الضرورية وهي من الحنطة والشعير والبصل والثوم، والماعون والمراكب.

تُعد الأسواق حاجة اقتصادية لأنها مراكز اجتماعات، ونقاط لقاءات عمومية ، حيث استغل البايلك فرصة انعقادها لقراءة المنشور العام، كخبر تنصيب موظفين جدد، أوتغطية ودفع الضرائب، أو انتشار الأوبئة وكيفية الإحتراز منها[2]، كما تلعب دورًا ثقافياً، إذ يقصدها المدّاحون من مختلف الفحوص يقصون على الناس القصص الدينية[3].

تفتح الأسواق الأسبوعية في الفترة الصباحية، في الهواء الطلق في منطقة حيادية تقع بين مجموعة قبائل ، يقوم القائد بمساعدة الشيوخ بمراقبة التبادلات الإقتصادية، كما يضمن أيضاً حراستها[4].

أما التُجار فإنهم ينظمون ضمن هيآت يشرف عليها أمين يجمع الرّسوم من كل تاجر، ويسلمها للمصالح الإدارية. فالعادة المتبعة عامة هي أن التاجر يكتري في السوق محلاً، أو عدة محلات، وبعد حصوله على رخصة يعرض بضاعته عند باب المحل.[5] في مدينة البليدة توجد محلات ودكاكين تجارية لبني ميزاب عند باب الجزائر خاصة بالملابس الجاهزة ، أما بحي عبد الله المسمى حي اليهود، فتوجد محلات خاصة بالخضارين، تقابلها مقهى، ومحلات الجزارين.[6] ويدفع التاجر الرّسوم قبل دخوله إلى السوق.[7]

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني : الجانب الاقتصادي و الاجتماعي ...ص 71 .

[2]. Benachenhou : op.cit .p 16.

[3]. محمد العربي ، الزبيري : المرجع السابق ، ص 64.

[4]. Benachenhou : op.cit .p – 21

[5]. أبو العيد دودو : الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان (1830– 1850)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989، ص ص 108، 109 ، 110.

[6]– Colonel , trumelet : op. cit.t, p 883

[7]– محمد العربي ، الزبيري : المرجع السابق ، ص65 .

يُنَصَّبُ السوق الريفي بطريقة متناثرة، وفي وسطه مجموعة من الخيام تباع فيها القهوة أو الشاي، تفرش أرضيتها بالحصائر، وتعرض في السوق السلع المختلفة والتوابل والخردوات والمنتجات الحرفية والحيوانات وغيرها.

لعاصمة إقليم متيجة مدينة البليدة أهمية كبرى، منها يشتري السكان سلعهم، ويصلحون سلاحهم، ويصفحون أحصنتهم، ويعالجون قضاياهم.

كما تتواجد بها ثلاثة أسواق، منها سوقين داخليين، أحدهما مخصّص للحبوب والثاني مخصّص للسلع الغذائية عرفا بسوق الجمعة، وكانا يعقدان عند الباب الشمالي المؤدي الى مدينة الجزائر، أمّا السوق الثالث فهو خارجي يعقد خارج أسواق المدينة، ويعرف بسوق الخميس[1]، يعقد كل يوم خميس يُجلب إليه الدجاج ، والبيض والبقر والثمار الجافة والشعير والقمح والبقول[2]، كما يتردّد عليها رجال القبائل الجبلية، لبيع منتجاتهم، وشراء حاجياتهم من أقمشة وأدوات مصنوعة[3].

كما أصبحت عاصمة الإقليم "مدينة البليدة" مستودعاً تجاريًا للتيطري والجنوب بفضل الإستغلال الجيد للأراضي وطريقة غرس الأشجار فكان المنتوج وفيرًا. ففي وطن بني خليل وُجد السوق الشهير بسوق الإثنين أوسوق بوفاريك، يُعقد بين بساتين الحبوب، شمال قبة سيدي عبد القادر، قرب الساقية لتشريب الحيوانات [4].

كانت المقايضة أفضل طريقة في التجارة لأن النقود الذهبية لم تكن منتشرة بكثرة ، في حين يريد المستهلك الحصول على ما يحتاج مباشرة [5].

---

[1]–Colonel , trumelet : op. cit, p : 782

[2] .venture de pradis : op. cit p : 27 .

[3] . Colonel , trumelet : op. cit, p : 782

[4]– venture de pradis : op. cit , p 276 .

[5]– محمد العربي ، الزبيري : المرجع السابق ،ص 65 .

وعن أسعار المواد حسب ما ذكره صالح العنتري بقوله: "... و أما باقي الغلال ، من مأكولات ومشروبات فكلها رخيصة السعر في غاية البخس، حتى أنّ الإنسان الذي لم يدرك ذلك الزمان، ولم يشاهد المبيعات، من أمور المعاش والكسوة، ونحو ذلك يتخيل الكذب في رخاء تلك الأسعار.[1]

وعموماً أنّ الأسعار كانت مراقبةً في أسواق المدينة، وأسواق الرّيف حيث تُعيّن كل قبيلة أميناً لمراقبة الأسعار، والمكاييل .

وكان لمهارة العنصر الأندلسي، واستعداد الجالية اليهودية لممارسة الأعمال التجارية دورٌ كبير في دعم النشاط التجاري بإقليم متيجة، ولا سيما عاصمة الإقليم مدينة البليدة، حيث كانت المبادلات التجارية محتكرةً من طرف الأندلسيين، وذلك يعود لمهارتهم، وتعاونهم، وتكافلهم مع بعضهم، وامتلاكهم لرؤوس الأموال.[2]

كما تمكن اليهود من السيطرة على تجارة إيالة الجزائر، على المستويين الداخلي والخارجي في أواخر العهد العثماني، وذلك لتواطؤ بعض الحكام معهم، وإطلاعهم على عادات وتقاليد سكان المدن والأرياف، ممّا أثار غضب الأهالي وسخطهم[3].

ويرتبط النشاط الاقتصادي بصفة عامة، والتجاري بصفة خاصة بالموقع الجغرافي الهام الذي يتميز به إقليم متيجة الذي تتخلله معابر وممرّات طبيعية يمكن من خلالها الوصول إلى مدينة الجزائر والساحل في الشمال، وإلى مليانة في الغرب عبر واد جر، والى المدية جنوباً عبر مضيق الشفة .[4]

---

[1] – صالح العنتري: سنين القحط و المصغبة ببلد قسنطينة " مجاعات قسنطينة " ، تحقيق وتقديم : رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974 ، ص 34.

[2] – ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث ...، ص142.

[3] – ناصر الدين سعيدوني : النظام المالي ... ص 47 .

[4] . مجلة مرآة متيجة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1986، ع الثاني، ص04.

ولأن الحركية الإقتصادية تحتاج الى شبكة من طرق المواصلات وأمنها ، فإنّ الفترة العثمانية عرفت اهتمام البايات بتحقيق أمن الطرقات وذلك بمشاركة كل قبيلة لينتشر الأمن بينها وبين جاراتها [1]. فكانت الطرق في إيالة الجزائر تختلف عن مثيلاتها في القارة الأوربية، فهي تنقسم إلى: سلطانية وجهوية [2]، وطرق محيطة بالمدن ، والقبائل والأعراش. فالطرق السلطانية هي التجارية الكبرى، وتوجد منها في الجزائر تسعة طرق من بينها طريق تونس، ليبيا، المغرب والسودان[3]. وللوصول إلى المدية عاصمة بايلك التيطري، يستعمل البايلك عدة طرق منها : طريق يبدأ من مدينة البليدة نحو مدينة الجزائر.

أما الطرق الثانوية فهي التي تربط دار السلطان بالمدن المجاورة ومنها "طريق البليدة " حيث يمر الطريق الواصل بين الجزائر والبليدة من دالي إبراهيم مروراً بوادي الكرمة، ثم حوش حسن باشا في اتجاه الجنوب وصولاً الى البليدة عن طريق أراضي مغطاة بالأدغال، وهذا الطريق رملي.

أمّا فيما يتعلق بسعر النقل فقد كان يُحدّد تبعاً للمسافة، وصعوبة النقل، فالداي" الحاج علي" حدّده مابين مدينتي الجزائر والبليدة حسب اقتراحات خوجة الخيل "سيدي حسان خوجة في أول محرم 1228هـ / 1788م بثلاث (03) ريالات. وفيما يخص وسائل النقل المستعملة ، فالجمال والبغال للسلع، والخيول للأشخاص، أمّا التي يكسبها السكان في سهل متيجة فيستعملونها في ركوبهم، وحمل حبوبهم[4].

كان ثمن النقل على ظهور الحيوانات باهظاً، ممّا أدى الى ارتفاع أسعار المنتوجات المنقولة، فالحمير مثلاً كانت تستعمل في حمل من سبعين إلى

[1] – حمدان ، بن عثمان خوجة : المصدر السابق ، ص161 .

[2] – محمد العربي ، الزبيري : المرجع السابق ، ص67 .

[3] – محمد العربي ، الزبيري : المرجع السابق ، ص67 .

[4] . حمدان ، بن عثمان خوجة : المصدر السابق ، ص67.

ثمانين كلغ، ويتحمل مسافة خمسة عشر كلم فقط ، بينما البغال الوسيلة الأهم في النقل فتحمل لمسافات بعيدة تصل إلى خمسة وعشرين كلم، وبحمل يتراوح بين مئة إلى مئة وخمسين كلغ، و كان يقطع مسافة عشر كلم في الساعة على الأراضي المستوية، وثلاث كلم في الساعة في الجبال.

وفي الأخير يمكن القول بأنّ أهمية موقع إقليم متيجة إنما يكمن في قربه من دار السلطان عاصمة الإيالة، وفي الاتصال المباشر بإقليم التيطري جنوبًا، وسهول الشلف غربًا ؛ وعليه صارت مدينة البليدة عاصمة إقليم متيجة حضيرة إقتصادية، وقاعدة عسكرية هامة، ومركزاً عمرانياً هامًا في مقاطعة دار السلطان، لكونها قريبة من مدينة الجزائر عاصمة الإيالة ، وظلّ ذلك إلى غاية بداية الاحتلال الفرنسي[1].

كل ذلك أهّل منطقة متيجة لتتصدر الحركية الإقتصادية في الجزائر خلال الفترة العثمانية، الشيء الذي جعلها محط أنظار الإستعمار الفرنسي منذ الوهلة الأولى التي حطّ فيها رحاله بأرض الجزائر، فجعل منها منطقة يُعتمد عليها في إنتاج الحمضيات على وجه الخصوص، وتُصدّر منتوجاتها الى الأسواق الأوربية .

[1]– ناصر الدين ، سعيدوني : مدونة المدن ...، ص 02.